# الطفيليات

## ونشأة المدنية وانتشارها[1]

توطن الانسان في اول عصر التاريخ في الأماكن القريبة من مجاري الأنهار في المناطق المعتدلة حيث تكثر موارد الارض الطبيعية من نبات وحيوان . ولكن هذه المناطق كانت ملائمة لنمو الطفيليات التي تسبب امراضاً . وازداد انتشار الطفيليات واشتدت وطأتها وفقاً لازدحام السكان . وكان أهم هذه الامراض كما يستدل من التاريخ مرض الملاريا وفقر الدم الناشيء عن الانكلستوما ، فأفضى ذلك الى اضمحلال هذه المدنيات الاولى ، وتغلب على شعوبها ، ضوائف من البدو أو سكان الجبال ، أقل منها مدنية . فالبدو الرحل تقل جداً عدوى الطفيليات بينهم لكثرة تنقلهم وقلة ازدحامهم وسكناهم مناطق جافة . وكذلك الحال في سكان الجبال فان برد الجو وفقاً للارتفاع عن سطح البحر يجعل انتشار الطفيليات في تلك الأماكن متعذراً . ولكن هؤلاء الغزاة لا يلبثون بعد استيطانهم المناطق المغزوة حتى يصيبهم ما أصاب الأهالي الاصليين فيخضعون بدورهم لغزاة آخرين

ويقرر بعض المؤرخين ان السبب في سقوط بعض الدول وتغلب غيرها عليها يرجع الى عوامل الترف وانحطاط الآداب بين الشعوب المغلوبة ، نتيجة لازدياد الثروة والاسراف وانصراف الناس الى الملاهي . واذا كان ذلك يصح على حال الملوك والامراء ومن يليهم من الطبقة الخاصة ، فاننا لا نظن ان المؤرخين يؤمنون بان عامة الشعب المصري ايام قدماء المصريين او الشعب اليوناني أو الروماني ، كانت تنعم بقليل مما تنعم به الشعوب الغربية في العصر الحديث من أسباب الترف والملاهي وحسن العيش . وقد برهنت الحرب ان الشعوب الغربية محتفظة بكامل قوتها البدنية والعقلية ولم يفسدها حسن العيش المادي ولعل مما يعزوه المؤرخون من تغلب البدنية المصرية القديمة على جميع الفاتحين وتطبع هؤلاء الفاتحين بالطباع المصرية قد يكون مرجعه الى اصابتهم بالطفيليات المنتشرة في البيئة الجديدة . فتحيلهم الى ما كان عليه معظم الشعب . ومعلوم أن المغلوب مولع بتقليد الغالب فاذا حدث عكس ذلك ، فلا بدّ من عوامل

(١) ملخصة من محاضرة الدكتور محمد خليل عبد الملك بك استاذ علم الطفيليات بكلية الطب بجامعة فؤاد الاول

قوية تفسر الغالب على النطيع بطباع البلاد المفتوحة ، ويحتمل كثيراً ان تكون اصابة الفاتحين بالامراض المتوطنة في طليعة هذه العوامل

وقد امتدت المدنيات الأولى الى الاقاليم الباردة عند ما تمكن الانسان من السيطرة على الموارد الطبيعية واستيراد ما يحتاج اليه فيها من الاراضي النائية ، وتمكنت له الغلبة عندما انتشرت الصناعات والمخترعات . وهذه المناطق تخلو نسبياً من عدوى الطفيليات لبردها معظم ايام السنة ، فاطردت مدنيتها ارتقاء ولم تظهر فيها عوامل الانحلال من هذه الناحية . واذا نظرنا الى مواقع بلدان اوربا متدرجين من الجنوب الى الشمال ، وجدنا تقدم المدنية مطّرداً وفقاً للاتجاه من الجنوب الى الشمال . وهذا يطابق كل المطابقة قلة انتشار الامراض الطفيلية . فهي اكثر انتشاراً في الجنوب منها في الشمال

واذا اتجهنا جنوباً مبتدئين من مهد المدنيات الأولى وجدنا الأمراض الطفيلية تزداد انتشاراً مما يجعل حياة الانسان في هذه البيئات مستحيلة أو في نطاق المستحيل تقريباً . وربما كان هذا هو السبب في ان مدنيات المناطق المعتدلة لم تتمكن من الانتشار جنوباً كما انتشرت شمالاً . فكأن اجتياز المنطقة الاستوائية حيث تكثر الامراض الطفيلية كان متعذراً عليها . وظلّت هذه المنطقة توصف الى عهد قريب بقولهم انها « مقبرة الرجل الأبيض » . ولكن في العهد الحديث أمكن القول بصفة قاطعة ان الاقامة في هذه الاقاليم ممكنة اذا تغلبنا على ما فيها من أمراض طفيلية . وقد نشأ هذا القول عن كشف هذه الأمراض وأسبابها وطرق معالجتها . وكان الاكتشاف الأول هو اكتشاف البول الدموي في مصر وديدان البلهارسيا المسببة له وكان ذلك في سنة ١٨٥١ ومرض الانكلستوما الذي يسبب فقر الدم المنتشر في جميع البلدان الحارة وكان ذلك في سنة ١٨٥٣ بمدرسة الطب المصرية كذلك . وكشف طفيلي الملاريا سنة ١٨٨٢ في مدينة الجزائر والديسنطاريا الاميبية في سنة ١٨٨٣ بالاسكندرية ومرض النوم سنة ١٩٠٣ ومرض الكالازار في سنة ١٩٠٣ كذلك . وقد أعقب ذلك كشف تاريخ حياة الأمراض وطرق انتشارها ثم كشفت أدوية ناجعة لمعالجة معظمها بالطرطير والزرنيخ لمرض النوم ( ١٩٠٦ ) والسلترسان للزهري ( ١٩٠٦ ) والاميتين للديسنطاريا ( ١٩٠٩ ) والطرطير لعلاج البلهارسيا في سنة ١٩١٨ ورابع كلورور الكربون للانكلستوما في سنة ١٩٢٣ .

وبعد ما تمكن العلم الحديث من ان يكشف بعض الكشف عن علاج تلك الامراض الطفيلية ومقاومتها انتشر استيطان الاوربيين في المناطق الاستوائية محتفظين بصحتهم فيها بفضل الاحتياطات الصحية الموجّهة في المقام الاول الى الأمراض الطفيلية الحيوانية